وفقدت الكلمات معانيهـــــــــا !

حين نقرأ الصحف وتتابع وسائل الإعلام في مصر المحروسة تصدمنا حقيقة ساطعة كالشمس، ولكننا نتغافل عنها ، وهي أن كثيراً من الكلمات المتداولة على ألسنة الحكام والمسئولين قد فقدت معانيها ولم تعد تعكس المعاني الحقيقية التي كانت لها في يوم من الأيام.

وتظهر هذه الحقيقة حين نتأمل ما يصدر من تصريحات وبيانات على ألسنة الحكام وما يتبارون في إعلانه في مؤتمراتهم الإعلامية. وقد التزم الوزراء والمسئولون على مختلف المستويات نهج الحكام الكبار وصاروا هم أيضاً يتبارون في استخدام كلمات ضخمة فخمة لوصف أعمالهم والإشادة بإنجازاتهم ويعاونهم في ذلك مساعدوهم والعاملون تحت إمرتهم، ويروج لها الإعلاميون المرتبطون بالحزب الحاكم.

ومن أكثر الكلمات شيوعاً في أيامنا هذه كلمة "تفعيل"، فترى المسئول الكبير ينفخ أوداجه ويعلن بكل ثقة أن الحكومة أو الوزارة أو أياً ما كانت الجهة التي يتحدث باسمها، قد قررت "تفعيل" نظام جديد أو قانون حديث أو ما شاء له أن يعد الناس بأنه قد استخار الله وقرر أن يضع ذلك النظام أو القانون أو غيره من قرارات موضع التطبيق بفعالية حتى تتحقق الأهداف المرجوة منه. وفي أغلب الأحيان تكون النتيجة الفعلية لذلك "التفعيل" أن يتوارى الموضوع بعد أيام وينزلق إلى متاهة النسيان شأنه شأن آلاف القرارات والنظم والقوانين التي تزخر بها أضابير الأرشيف في مختلف قطاعات الدولة.

وبنفس المنطق ترى المسئولين يتشدقون بكلمة فخمة ضخمة أخرى هي "الإستراتيجية". فكلما تفاقمت مشكلة وزادت معاناة الناس من آثارها، وكلما تأكد الفشل الحكومي في تحقيق ما سبق أن وعدت الحكومة به الناس، يبرز إلى السطح مسئول همام ليعلن بكل

ثقة أن الحكومة بصدد وضع "إستراتيجية" متكاملة للتعامل مع تلك المشكلة وكأنه يمكن أن تكون الإستراتيجية غير متكاملة. والنتيجة المتوقعة دائماً أن المعنى المقصود بالإستراتيجية المتكاملة هو مجموعة من الشعارات الرنانة والتعبيرات الإنشائية تشغل بها الصحف ووسائل الإعلام لفترة ثم يطويها النسيان. ترى هل يعلم أحد كم مرة وضعت إستراتيجية لتطوير التعليم بمختلف مراحله؟ وكم مرة اعتمدت الدولة إستراتيجيات لتنمية الصعيد وتعمير سيناء؟ وهل يتذكر أحد أو يعلم مصير كثير من الإستراتيجيات التي كانت موضوعات لأحاديث وندوات ومؤتمرات في شتى المجالات من الصحة والعلاج إلى الصناعة وتنمية الصادرات مروراً بالتنمية الزراعية؟ حين أسمع مسئولاً يتحدث عن "إستراتيجية" ما ، أفوض أمري إلى الله وأعلم مقدماً أن هذا الموضوع محكوم عليه بالفشل والاندثار في طي النسيان.

وفي المجال الاقتصادي ومن أجل تحقيق العدالة الاجتماعية نسمع ونقرأ عبارات كثيرة يلوكها المسئولون في أحاديثهم من نوع " الانحياز إلى محدودي الدخل" و" وصول الدعم إلى مستحقيه" و" مجانية التعليم" التي هي حق دستوري لجميع المصريين.

تلك العبارات يعلم قائلوها قبل غيرهم أنها لا تعني شيئاً ولا يقابلها الناس إلا بالسخرية وعدم التصديق، فقد اعتادوا مع سماعها أن تزيد أحوالهم المعيشية سوءاً وتنهار مقومات حياتهم من سكن غير صحي فضلاً عن تفاقم ما يلاقونه من العنت في تدبير تكاليف الحياة اليومية عند أقل المستويات المتصورة آدمياً، وصعوبات الحصول على الخدمات الأساسية التي يعانون في الوصول إليها من المرافق الحكومية في الصحة والتعليم والمواصلات.

إن المواطن الذي لا تجد ماء الشرب النظيف والذي يفتقد خدمات الصرف الصحي ويعيش مهدداً في كل لحظة بانهيار صخور الجبال ومخاطر خطوط الضغط العالي لشبكة الكهرباء

التي اتخذ مسكنه العشوائي تحتها ، والذي تحوطه وأولاده تلال القمامة والمخلفات من كل نوع، هذا المواطن لا يمكن أبداً تصور أنه يصدق ما يقوله المسئولون من أنهم يهتمون بمشكلاته وينشغلون بتأمين احتياجاته، وأنهم جادون فيما يعلنونه من إستراتيجيات وتوابعها من الخطط والبرامج إلى آخر قائمة المسميات التي فقدت معناها .

وأذكر أن رئيس وزراء أسبق[1] طلع علينا بفكرة "البرامج" وأعلن وقتها عن وضع أربعة عشر برنامجاً يتعامل كل منها مع قضية محورية من قضايا التنمية الوطنية، ثم ما لبث أن نسيتها الحكومة وضاعت في سلة مهملات التاريخ، وكان من قبله رئيس وزراء خرج علينا بما أسماه "وثيقة مصر والقرن الحادي والعشرون"[2] صدرها بكلمة للرئيس مبارك في الحفل الذي أقيم بمناسبة البدء في تنفيذ مشروع وادي النيل الجديد يوم 9 يناير 1997 قال فيها " هذا يوم من أيام التاريخ تدخل فيه مصر عصراً جديداً، عصر الخروج من أسر الوادي الضيق إلى رحاب مصر كلها، سعياً إلى غد أفضل يشرق ضياؤه على المصريين"، واليوم وقد انقضت ثلاثة عشر عاماً على هذا الكلام الزاهي، هل يستطيع أي مصري أن يدلني أين يقع وادي النيل الجديد وكم مصرياً خرجوا من أسر الوادي القديم إلى رحاب مصر كلها ؟

ومن الكلمات التي فقدت معناها كلمة " إنجازات " حيث ابتُذلت بشكل غير مسبوق وأصبحت فارغة من المضمون خاصة بعد أن أصدرت الحكومة[3] منذ عدة أسابيع كتابها الشهير الذي أطلقت عليه اسم " 60 إنجازاً في 60 شهر" وذلك احتفالاً بعامها الخامس في

---

[1] هو المرحوم دكتور عاطف عبيـــد

[2] هو المرحوم دكتور كمال الجنزوري

[3] هي حكومة دكتور أحمد نظيف

سدة الحكم. فقد احتوى الكتاب على إنجازات ما أنزل الله بها من سلطان من نوع "طفرات قياسية في الأداء الشموي" و" تحولات غير مسبوقة من أجل تحديث مصر وزيادة القدرة التنافسية" ثم " إنجازات تحققت على أرض الواقع لأول مرة" وكلها أشياء لم تصل إلى علم أغلبية المصريين ولم تنعكس بأي شكل على الواقع المرير الذي يعيشونه في ظل تفاقم الفقر والعشوائية وتردي الخدمات الأساسية وفقدان الأمل في مستقبل أفضل!

وفي حقل السياسة الخارجية توجد مجموعة من التعبيرات يستخدمها الحكام ومساعدوهم من السياسيين المحترفين من نوع " عملية السلام" و"الشرعية الدولية" وغيرهما من التعبيرات الفارغة التي تستخدم لمجرد إيهام المستمع أو القارئ أن هناك حركة يقوم بها هؤلاء الذين يتصدون للقضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي منذ ما يزيد عن ربع قرن من دون أن يتحقق أي إنجاز له معنى على أرض الواقع.

ويتابع المواطنون باندهاش كبير تلك العبارات التي تصف زيارات الرئيس للدول الخارجية بأنها " تاريخية" بينما لا يكاد الإعلام في تلك الدول يذكر شيئاً عنها! كما يندهشون وهم يتابعون أخبار زيارات الوزراء للدول الأجنبية وسيل الاتفاقات التي يوقعونها والاستثمارات التي ستنهمر على مصر والخير العميم الآتي بفضل الزيارات الميمونة، ثم يعود الوزير من رحلته ليستريح قليلاً وينسى الناس أخبارها ويستعد هو لزيارة جديدة!

ولا تنتهي قائمة التعبيرات التي فقدت معانيها في بلادي فقد استهلكت كلمات "الديمقراطية" و"التعددية السياسية" و"المواطنة" و"الحراك السياسي"، كما ابتُذلت كلمات "التطوير" و"التحديث" و"إعادة التنظيم" و"إعادة الهيكلة" وأُفرغت من مضامينها بفضل ممارسات حزب يتحكم في العباد والبلاد منذ ثلاثين عاماً أو يزيد.

ثم أضيفت مؤخراً عبارة تقول إن "عام 2010 سيكون حاسماً لتحديد مستقبل مصر"، وكل ذلك مما ينطبق عليه قول الحق تبارك وتعالى في سورة الصف "يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون" [آية 2 و3] . وكان الله في عون مصر وأهلها ووفقهم في سعيهم لإعادة الاعتبار لتلك الكلمات .

دكتور علي السلمي

عضو الهيئة العليا للوفد

هذا المقال نُشر في صحيفة الوفد يوم 9 ديسمبر 2009

وما تزال تلك الكلمات (وغيرها) تبحث عن معانيها بغير طائل

ونحن في شهر يونيو 2024 !!!!!!!!!!

الكاريكاتير مضاف وغير متضمن في المقال